مجلة الإستيعاب
Issn : 2661-7625 Eissn : : 2773-3947
المجلد: 04 / العـدد: 02 ص 107– 119

حياة الأمير عبد القادر الصوفية وآثاره النثرية

The Sufisms life of El Amir Abdul Qadir and his prose legacy

ط.د ريان بن عروسي، [1] ط.د أيوب شرقي [2]

[1] جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، benaroussi_rayane@univ_eloued.dz

مخبر بحث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للجزائر

[2] جامعة البليدة علي لونيسي، ayoubchargui0@gmail.com

مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية

تاريخ الاستلام: 2202/02/27 تاريخ القبول: 202/04/06 تاريخ النشر: 2022/05/20

ملخص:

الأمير عبد القادر شخصية تاريخية, ميزت التاريخ الجزائري خاصة والعربي عامة, ومن عظماء التاريخ الدين صنعوا أمجاد المقاومة الوطنية ضد المستعمر الفرنسي, محققا بدلك مكانة هامة والتي شهد بها الأعداء قبل الأصدقاء, وهو من بين القادة القلائل في العالم الدين اجمعوا بين قوة السيف وقوة القلم والفكر, وهدا كله راجع لشخصيته الغنية بالتجارب والمعارف التي جعلت منه إنسانا استثنائيا حربا وسلما, كما كان للأمير شخصية صوفية متحررة من قيود التقليد والتبعية, ومتطلعة إلى صفاء الشريعة الإسلامية وجورها النقي, فحياة الأمير بشقيها الجهادي والتعليمي والعسكري والثقافي تحطم تلك الادعاءات الزائفة التي يحاول خصوم التصوف إلصاقها بالصوفية.

كلمات مفتاحية: التصوف عند الأمير عبد القادر- انعكاسات التصوف على الأمير في المجال العلمي والإنساني – مؤلفات الأمير النثرية في الأسر.

Abstract:

The prince Abdel Kader is a historical fug ire who distinguished Algerian history in particular and the world in general. He is one of the greats in history who made the glories of the national resistance against the French colonialists achieving an important position that was witnessed by enemies before friends. And he is among the few leaders in the world who combined the power of the sword and the power of thouglit and the pem… and all this is due to his

personality rich I experiences and knowledge that made him an exceptional man of war peace be upon him. The Emir also had a mystical personality free from the shackles of dependence and tradition and qspiring to the piosty and pwre inequity of Islamic law. The emir s life with its jihadist, educational, military and cultural aspects, shatters those false claims that the opponents of Sufism try to attach to Sufism.

Keywords: Sufism of prince Abdul Kadar- reflections of Sufism on the prince in the scientific and human fields - princes prose writings in captivity.

1. مقدمة:

اشتهر الأمير عب القادر الجزائري في كتب التاريخ العربية ببطولاته وقتاله ضد المستعمر الفرنسي, وعرفه الشعب العربي مناضلا وطنيا وبطلا صنديدا ومجاهدا في سبيل الله, وكان الأمير عبد القادر الصوفي المثالي في العالم الإسلامي فهو سليل أسرة صوفية, عمل على نشر التصورات الإسلامية, وطبق حدود الشريعة باستنباط الأحكام بمنتهى الذكاء والدقة فاستحق بذلك لقب الإمام والقائد, وتوفرت مجموعة من العوامل وجهته نحو سلوك سبيل التصوف, كما مر تصوف الأمير بعدة مراحل, وكان لهذا التصوف انعكاسات عل حياته في المجال العلمي والإنساني, ورغم أن حياة الأمير عبد القادر ورفاقه في معتقل امبواز كانت السنين الأصعب والأطول, إلا أن هذه الفترة هي الأكثر من ناحية الإنتاج الأدبي, وهذا ما سنحاول إبرازه من خلال هذه الدراسة, ومن هنا نطرح الإشكال التالي:

كيف كانت الحياة الصوفية للأمير عبد القادر, وماهي الآثار النثرية التي خلفها؟ وماهي مراحل تطوره الروحي؟

وللإجابة على هذا الإشكال نتبع العناصر الآتية:

2. مفهوم وأسباب التصوف عند الأمير عبد القادر:

1.2 مفهوم التصوف عند الأمير عبد القادر: هو إتباع كتاب الله والسنة النبوية،حبا وشوقا وتضرعا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فيؤدي العبد آداب العبودية وخدمة الربوبية (الجزار، 1997م، صفحة 12).

ويرى الأمير عبد القادر أن الصوفية هم أولئك الذين عليهم أن يكونوا في جميع أحوالهم وتصرفاتهم، حاضرين مع الله تعالى، ومن هنا يحذر الذين تكون عبادتهم مشوبة بأغراض نفسية

وحظوظ شهوانية، إذ يجب أن تكون العبادة خالصة لله تعالى, ولقد سمى رجال الصوفية بالعارفون وأهل الله (الحسيني، 2004م، الصفحات 49,53)، إذن ففي نظره التصوف هو إخلاص العبادة لله تعالى ومراقبته في السر والعلانية، ومن هنا يعتبر الصوفية هم سادات طوائف المسلمين (بركات، 1990م، صفحة 57).

كما تبرز النزعة الصوفية للأمير عبد القادر من خلال حرصه على التحلي بالأخلاق الفاضلة, وترك الرذائل والإخلاص في العمل مبرزا أن الجهاد مقرونا بتزكية النفس الذي يحصل بموجبه الإخلاص في العمل, إذن فتصوف الأمير عبد القادر هو في حد ذاته رؤية معرفية وطريق سلوكي, ينتهجه الإنسان العاقل لتحقيق حضارته (بوسلاح، 2021م، صفحة 278).

2.2 أسباب تصوف الأمير عبد القادر:

- **نزعته الإنسانية:** وهي النسب الإرادي الحقيقي الذي أراده أن يكون صلة الوصل بينه وبين أخيه الإنسان شرقيا كان أو غربيا أو أوروبيا، ومسلما كان أم مسيحيا (السيد، 2007م، صفحة 125)، والدليل على نزعته الإنسانية نجدها من خلال تمسكه بمبادئ الدين الإسلامي التي تأمر باحترام الإنسان لأخيه الإنسان, ودعوته إلى ضرورة حماية كرامة الإنسان وقيمته الإنسانية ورفض العنصرية والتمييز بين الأديان والأجناس (درعي، 2021م، صفحة 139), فمعاملته الحسنى للأسرى تعود إلى مرجعيته القائمة على مبدأ العفو والتسامح, وقد وضع مراسيم لتبيان طريقة معاملة الأسرى وذلك من خلال المرسوم الوطني الخاص بمعاملة الأسرى, والذي أصدره الأمير بعد عقد مؤتمر ضم كل الخلفاء والأغوات والقواد, ومما جاء في مضمون المرسوم, أن كل فرنسي قبض عليه يجب اعتباره سجينا ومعاملته بطيبة فائقة إلى أن تحين الفرصة لتبادله, وأن كل من يحضر جنديا فرنسيا أو مسيحيا أمنا سالما فإنه سينال جائزة, وفي حال شكوى الأسير من سوء المعاملة تلغى هذه الجائزة ويعاقب عل ذلك (دوحة، 2016م، صفحة 231), وحضر قتال الأطفال والشيوخ والنساء ورجال الدين ومن ليس لهم شأن بالقتال (درعي، 2021م، صفحة 140).

-**انتمائه إلى آل البيت النبوي:** ينسب الأمير عبد القادر نفسه إلى ذرية سيدنا علي بن أبي طالب وقد كانت أسرته تعتز بامتداد حلقاتها حتى الإمام علي بن أبي طالب, حيث يشرح لنا الأمير عبد القادر معنى الآية الكريمة:{ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا } (الأحزاب، الأية33), بتوضيحه لموقفه من أل البيت, والنعم التي خصهم بها الله عز وجل, بإذهابه الرجس عنهم, يظهر لنا

مدى اعتزازه وارتباطه الروحي بهذا النسب المقدس (بن ساعد، 2003-2004م، صفحة 20), كما أظهر الأمير افتخاره بنسبه للبيت النبوي الشريف، في العديد من قصائده الفخرية، ولعلنا ندرج منها: قصيدته "لأبونا رسول الله" ومطلعها:

أبونا رسول الله خير الورى طرا فمن في الورى يبغي يطالنا قدرا (بوعجاجة، 2013م، صفحة 258)

- **تربيته الدينية الصوفية :** نشأ الأمير في جو تربوي ديني، وهو ابن الزوايا والطرق الصوفية, فكان الأمير عبد القادر مؤمننا بقضاء الله وقدره، نجده متبعا للرسول عليه الصلاة و السلام حين قال"أن تؤمن بالأقدار كلها خيرها وشرها، حلوها ومرها"، ونلمس هذا الإيمان للأمير في كتاب العهد الذي أعطاه للويس نابليون قائلا:"عندما أمرني الله بالنهوض نهضت...،ولكن عندما أمرني بالتوقف توقفت وعند ذلك فقط تخليت عن السلطة واستسلمت"، معناه نهوضه وتوقفه واستسلامه هو بمشيئة الله (السيد، 2007م، الصفحات 125,119), وقد كان أسره بسجن أمبواز سببا أخر من أسباب انخراطه في هذا العالم الروحاني فقد وجد نفسه في عزلة بعد أن أغمد سيفه, فكان يشغل نفسه بالدعاء والذكر (لعور، 2020م، صفحة 120).

3. المراحل التاريخية لتصوف الأمير عبد القادر:

1.3 مرحلة التلقين والتعلم والمطالعة 1807 - 1830م:

تمتد هذه المرحلة من ولادة الأمير في القيطنة عام 1807م الى تاريخ نزول الفرنسيين ارض الجزائر (السيد، 2007م، الصفحات 125,119), حيث كانت فترة حياته المبكرة مع والده في زاويته أو مدرسته, ورحلته العلمية في الجزائر هي مرحلة التلقي والاطلاع, حيث أن الأمير منذ صغره كان أول ما أدركه هو حب والده له, وغمره بحنانه وعطفه, ليأخذ من مبادئه أقومها, ومن أخلاقه أجملها, وليكسبه من عاداته أكرمها, وعمل الأب على تثقيف ابنه, التحق بمدرسة والده بالقيطنة, حيث تعلم فيها مبادئ القراءة والكتابة وأصول الشريعة والحديث, وحين وصل سن العاشرة من عمره تمكن من حفظ القران الكريم, ارتحل وهو مراهق لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره إلى أرزيو ليدرس على قاضيها الشيخ احمد بن الطاهر (العسلي، 1980م، صفحة 20), الذي أخذ عنه العلوم الحديثة, كعلم الفلك والحساب والجغرافيا بالإضافة إلى إطلاعه على الشؤون الأوروبية, وفي سنة1820م أرسله والده إلى مدينة وهران لينتسب إلى مدرسة احمد بن خوجة, المخصصة لأبناء الأعيان, حيث قضى فيها ما يقرب

من سنة انكب فيها على توسيع معارفه اللغوية, ودراسة أراء المسعودي وابن خلدون, والإطلاع على العلوم الأخرى والتعمق في الدين, وتدعيم ملكاته الأدبية والشعرية (إتين، 1995م، صفحة 116).

ويبدوا أن أهم فترة زمنية في هذه المرحلة هي الفترة الممتدة من 1825 إلى 1828م, وهي فترة الرحلة المشرقية التي سافر فيها مع والده لأداء فريضة الحج, فأتيحت له فرصة الإطلاع عن كثب على الطرق الصوفية والاتصال بشيوخ التصوف والأخذ عنهم وممارسة رياضتهم الروحية ومجاهدتهم النفسية (بركات، 1990م، صفحة 59), فبعد أداء الأمير فريضة الحج سافر مع والده إلى بغداد عن طريق دمشق التي أخذ فيها الطريقة النقشبندية عن الإمام أبي البهاء ضياء الدين النقشبندي السهروردي, فقد تردد عليه كثيرا واستمع الى دروسه في التوحيد والتصوف (الحسيني، 2004م، صفحة 22).

وبعد ذلك توجهوا إلى بغداد وزاروا أثنائها مقام صاحب الطريقة القادرية سيدي عبد القادر الجيلاني (قسمية، 2015م، صفحة 26), وكذلك اخذ الطريقة القادرية في مدينة بغداد على يد نقيب الأشراف السيد محمود الكيلاني القادري (أباضة، 1994م، صفحة 10).

وكان الأمير في هاته المرحلة مغرما بمطالعة كتب القوم رضي الله عنهم, منذ الصبا غير سالك طريقهم, وهذا يعني انه لم يسلك طريق التصوف وقت الصبا, بل كان مغرما بمطالعة كتب الصوفيين واخذ الطريقتين الصوفيتين في دمشق إلا انه لم يصل بعد في تصوفه إلى مستوى النضج الصوفي بل كان في مرحلة التثقف الصوفي, ودليل ذلك لا يوجد له قصائد صوفية نظمت في المرحلة الأولى هذه (السيد، 2007م، صفحة 128)

2.3 مرحلة الفتوة والمرابطة 1830 - 1848م:

اعتبرت المرابطة منذ نشأتها أنها نوع من الجهاد في سبيل الله, وكانت حروب الأمير ومرابطته في الثغور ضد الفرنسيين في هذه المرحلة التاريخية من مراحل تصوفه عندما اعتدوا على بلاده وأرادوا استعمارها, بأنه لم يحارب فرنسا ولا حارب الفرنسيين بل حارب من حمل السلاح منهم فقط, وروح الفتوة والمرابطة هي لمقاومة العدوان ولدفع الاضطهاد وتحرير البلاد دون جنوح لقتال احد إلا من كان بيده السلاح (بن ساعد، 2003-2004م، صفحة 88), وترفع عن استعمال الغدر أو نقض العهود, ومعاملة الأسرى من القواد وكبار الضباط الفرنسيين وحتى الجنود العاديين ما يشعر عن روح النبالة التي تعرف باسم الفتوة, وهي الميزة الأساسية التي كان يتميز بها الأمير طوال هاته المرحلة من حياته الصوفية, وهي من الصفات التي يتصف بها كبار الصوفية.

وهذا كله لان التصوف الإسلامي يأمر بالعمل والجهاد والتمتع بالحياة دون الإسراف, ولا عدوان وهو في جوهره شريعة دنيوية فقد جعل الإسلام الدعوة إلى الخير ودفع المظالم والكسب الحلال والكدح في الأرض عبادة, وتحت ظلال هذه العقيدة التي تجمع مابين العبادة النظرية أي العلم, ومابين العبادة العملية أي الجهاد بنوعيه الأصغر والأكبر, هكذا كان الأمير عمليا في تصوفه يسمو بتدينه الصحيح إلى مستوى الفتوة والمرابطة بمعناها الإنساني النبيل (السيد، 2007م، صفحة 138).

3.3 مرحلة التأمل والتفكير 1848- 1852م:

انتهى أمر الأمير إلى الأفق الروحاني المشرق منذ كان أسيرا في السجن, فضاقت عليه الأرجاء ولكنه ظل متمسكا بوقدة الصبر تارة ووقدة الشوق للخلاص من الأسر تارة أخرى, وقد أشار الأمير إلى هاته المرحلة التي سماها خلوة في الموقف الحادي عشر بعد المائتين من كتابه المواقف, وقد اعتبر كل هذا ابتلاء واختيارا من الله تعالى ليعرف مدى صبره, ويبدوا أن هاته الخلوة قد أتاحت للأمير لأول مرة في حياته للتأمل الصوفي والتفكير الروحاني الهادئ العميق, فكان يقضي أوقاته مشتغلا بالذكر والدعاء, وتعتبر هذه المرحلة أساسية لأنها بمثابة حلقة الوصل مابين المرحلتين السابقتين, ومابين المرحلة الرابعة والأخيرة التي سيصل فيها إلى ذروة التصوف (بركات، 1990م، صفحة 61), وهي إلى جانب ذلك تمتاز بالإنتاج الأدبي والفكري, وقد تعرف خلال هذه المرحلة إلى الصوفي الكبير محمد الشاذلي القسنطيني, ومن المرجح أن الأمير تتلمذ على يده وتلقى عليه مبادئ الطريقة الشاذلية وأصولها, وناقشه في الموضوعات الصوفية إلى جانب المساجلات الشعرية التي كانت تجري بينهما من حين إلى أخر (الجزائري، 1903م، صفحة 18).

4.3 مرحلة النضج والتعبير 1853 –1883م:

بدأ الأمير عبد القادر حياته بالجهاد وختمها في هذه المرحلة الصوفية الرابعة والأخيرة بالجهاد والنضال في مجال أعظم وهو جهاد النفس, لقد تغلغل الأمير خلال هذه المرحلة في علوم القوم, واظهر من دقائق المعارف ما يسمح بسمو مقامه إذ كان يصوم شهر رمضان على الكعك والزبيب, وله خلوة يتحنث بها في قصره بقرية أشرفية.

وتمتاز هذه المرحلة بأنها أطول المراحل التاريخية لتصوف الأمير, من الناحية الزمنية إذ هي تمتد على ما يقرب من ثلاثين سنة قضاها الأمير متنقلا في المنفى خارج ارض الجزائر بعد فكاك أسره في امبواز, إلى أن استقر أخيرا في مدينة دمشق (بركات، 1990م، صفحة 61), وكذلك هي أغنى مراحل تصوفه من ناحية الإنتاج الأدبي والفكري, ففي هذه المرحلة تم له الفتح العظيم وكان ذلك في خلوته

الصوفية الشهيرة إذ أقام في مكة والمدينة سنة ونصف 1863- 1864م مقبلا على العبادة والخلوة (الحسيني، 2004م، صفحة 22), والتقى فيها بالشيخ الجليل العارف بالله محمد الفاسي رئيس الطريقة الشاذلية, فتتلمذ عليه وأخذ عنه الطريقة, وعكف على ما في تلك الطريقة من الأذكار والأوراد إلى أن ارتقى في معارج الأسرار الإلهية, وهذه المرحلة هي مرحلة نضوجه الصوفي والفكري (بن ساعد، 2003-2004م، صفحة 90) وعبر عن رحلته الصوفية, وكانت تعبيراته الصوفية خاتمة المطاف.

4. انعكاسات التصوف على الأمير في المجال العلمي والإنساني :

1.4 في المجال العلمي(كتاب المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد):

ألفه الأمير في دمشق, يجمع باحثوا ودارسوا حياة الأمير وأثاره, على أن كتاب المواقف هو أهم مصنف ألفه الأمير سواء من ناحية الحجم أو الموضوعات التي يبحثها, حيث أودع فيه زبدة تجاربه ويبين فيه بوضوح مذهبه الروحي والصوفي والفلسفي في الوصول إلى الحقيقة التي ينشدها, وبث فيه آراءه الإصلاحية بثا دقيقا (السبع، 2000م، صفحة 223), ويتمايز هذا المؤلف بمحتواه العلمي والفلسفي عن مؤلفات عصره, الذي لا يدرك معانيه إلا واسع الاطلاع في الثقافة الإسلامية والإغريقية (الجزار، 1997م، صفحة 16).

تناول الأمير في هذا المؤلف علاقة الخالق بالمخلوق, وتكشف بعض فقرات مؤلفه أن أفكاره تقدمية, منها دعوته إلى توحيد مذاهب المرجعية الدينية التي فشل في تجسيدها معاصره محمد بن علي السنوسي (الجيلالي، 1965م، صفحة 264), ويحتوي هذا الكتاب على ثلاث مجلدات يبلغ عدد صفحاتها مجتمعة 1416صفحة, تضم 372موقفا وقد طبع لأول مرة سنة 1911م, ويرجع بعض المؤرخين تسمية الأمير للمؤلف بالمواقف, هو أن الأمير أراد أن يتشبه بغيره من أعلام التصوف الذين ألفوا كتابا بهذا العنوان ومنهم محمد بن عبد الجبار النفري, وجاء الكتاب استجابة لطلب بعض جلساءه من العلماء الدين التمسوا من الأمير أن يدون لهم ما يلقيه وما يتكلم به في المجالس (السبع، 2000م، الصفحات 223-224).

2.4 في المجال الإنساني (انقاد المسيحيين بدمشق):

اندلعت فتنة دينية طائفية بدمشق في 10جويلية 1860م, حيث قام بعض الفتيان المسلمين بشتم الصليب علنا فأوقفهم أحمد باشا وأرسلهم والقيود في أرجلهم يكنسون شوارع المدينة, فكانت هذه ذريعة لهيجان شعبي وقامت الجماهير بمهاجمة الحي المسيحي تنهب وتدمر البيوت, وكان مثيري الفتنة يفتشون عن قنصلي فرنسا وروسيا لذبحهما, وتمت مهاجمة الحي نهارا, وفي ظل هذه الأحداث

تدخل الأمير عبد القادر وأرسل إلى بعض أصدقاءه من مشايخ الدروز في بداية الحرب الأهلية داعيا إياهم أن يكونوا رحماء معتدلين, ثم ذهب إلى العلماء وترجاهم أن يستخدموا نفوذهم لدى الأهالي لتبريد المشاعر وتفادي مثل هذه النكبة (دوحة، 2016م، صفحة 235).

كما غامر الأمير عبد القادر بحياته وحياة أسرته ورفاقه ووضع سمعته في محك صعب بالإسراع إلى حماية أزيد من 15000مسيحي ويهودي سنة 1860م من هلاك أكيد في دمشق, ووقف متحديا جموعا هائجة مندفعة لقتلهم وصرح قائلا:" إن الأديان وفي مقدمتها الدين الإسلامي أجل وأقدس من أن تكون خنجر جهالة... أحذركم من أن تجعلوا لسلطان الجهل عليكم نصيبا, أو يكون له على نفسكم سبيلا" (بلقاسمي، د.س، صفحة 13), وقام كذلك بجولة في المدينة بحثا عن الأشخاص الهاربين في الشوارع, وكون قافلة صغيرة نظمها تحت حراسة جزائرية وانطلق بها لإنقاذ القناصل والرعايا الفرنسيين المقيمين في دمشق (إتين، 1995م، صفحة 321).

أثار موقف الأمير عبد القادر هذا إعجاب وتقدير وعرفان الدول الكبرى ورجالاتها, وتلقى تهاني الملكة فيكتوريا والرئيس الأمريكي أبراهام لنكولن ونابليون الثالث, وكبار رجال الكنيسة الكاثوليكية (بلقاسمي، د.س، صفحة 14), ويبدوا أن حماية الأمير عبد القادر للنصارى في الفتنة الطائفية هي أول مشاركة سياسية للجزائريين في حياة المشرق العربي عموما وبلاد الشام خصوصا (بوراس، 2014-2015م، صفحة 36).

5. أثاره النثرية (مؤلفاته في اسر أمبواز18481852ام):

يكشف لنا النثر ثقافة الأمير الواسعة وكتاباته القيمة, التي ظهر فيها ثقافة واسعة في الفكر الإسلامي والغربي, غير أن مؤلفات الأمير كانت في مجملها موجهة للخواص من القراء, لما فيها من إحياء للفكر الديني وفلسفته الشاملة لكل العلوم الإسلامية والإغريقية, وللأمير مؤلفات عديدة ورسائل مطولة وأجوبة متنوعة, تحدث فيا عن شتى الأغراض ومختلف الرسائل والمشاكل ومن بين مؤلفاته في اسر أمبواز (بوعزيز، 1983م، صفحة 132):

1.5 ذكرى العاقل وتنبيه الغافل:

هو عبارة عن رسالة كتبها الأمير عبد القادر تحمل في طياتها مواضيع مختلفة ومتشعبة, وفي نفس الوقت مشبعة بروح الفلسفة الإسلامية كتلك التي كتبها علماء الإسلام في القرون الأولى من الهجرة, وهذا الكتاب تغلب عليه روح النقل, فهو مليء بالنقل الحرفي من إحياء علوم الدين للغزالي (خرواع، 2021م، صفحة 151), لكن هذا العمل تختلف حوله الآراء, فهناك من يقول بتأليف الأمير له

في امبواز, وهناك من يرجع فترة تأليف الكتاب إلى بروسة1853-1855م, والمرجح أن هذا الكتاب بدأت كتابته في امبواز وانتهى تأليفه في بروسة.

قسم الأمير كتابه إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة وأدرج تحت كل باب مجموعة من العناوين, وجاء مؤلفه في 158 صفحة من الحجم المتوسط, وقد قام بتحقيقه والتقديم له الدكتور ممدوح حقي (الزهرة، 2009-2010م، صفحة 146), مثلا في الباب الأول منه يتحدث عن العلم والجهل, وعرفنا أن على العاقل أن ينظر في القول ولا ينظر في قائله, ويذكر فيه انه لولا الكتابة لما استقام للناس دين ولا دنيا (الجزائري، 1903م، صفحة 197).

2.5 المقراض الحاد لقطع لسان منتقض دين الإسلام بالباطل والإلحاد:

ألفه الأمير عبد القادر عندما كان سجينا في قلعة أمبواز بفرنسا في أواخر عام 1852م (الصلابي، د.س، صفحة 284), كتبه ردا على الطاعنين في مبادئ الإسلام بقصد النيل من أصوله ومبادئه (بوعزيز، 1983م، صفحة 132), والكتاب يقع في 254 صفحة من الحجم المتوسط, قسمه الأمير الى شبه مقدمة وثلاث أبواب أدرج تحت كل باب مجموعة من العناوين (السبع، 2000م، صفحة 205), خصصت المقدمة للكلام عن العقل وما يتعلق به, والباب الأول في إثبات الإلوهية, والباب الثاني على إثبات النبوة, والباب الثالث خصصه للحديث عن الأخلاق الإسلامية منذ عهد ادم عليه السلام (الزهرة، 2009-2010م، صفحة 141), وقد حرره محمد بن عبد الله الخالدي المغربي, كما هو مبين من واجهة الكتاب ونشرته دار مكتبة الحياة في بيروت دون تاريخ, أهم فصول الكتاب هو الباب الثالث, والذي حاول من خلاله بطريقة راقية أن يرد على ادعاءات الفرنسيين بالبيان والدلائل القرآنية والأحاديث النبوية, بان الإسلام يوجب الوفاء بالعهد وترك الغدر والنهي عنه (السبع، 2000م، صفحة 203). يمثل هذا الكتاب كذلك عصارة فكر الأمير وحصيلة تجاربه خصوصا منها تجربة الغدر والخيانة التي تعرض لها بعد الشروط التي تمت الموافقة عليها لوقف القتال, وجه الأمير هذا المؤلف عام 1852م للقساوسة الفرنسيين والمسيحيين عموما, ونجح إلى حد كبير لأنه استطاع أن يجعل الفرنسيون يهتمون به ويقرؤونه وحتى يترجمونه (الزهرة، 2009-2010م، صفحة 145).

3.5 مذكرات الأمير عبد القادر:

هي عبارة عن عمل يلتقي فيه التحرير والإملاء الشخصي للأمير مع الإنشاء الجماعي الذي تم انجازه تحت إشراف الفقيه مصطفى ابن تهامي صهر الأمير وصديقه المقرب, هذا الكتاب عبارة عن

سيرة ذاتية للأمير كتب في أمبواز سنة 1849م لذلك فهو شهادة صادقة لها قيمتها التاريخية لأنها مكتوبة بأيدي شهود عيان (السبع، 2000م، صفحة 415).

هذا الكتاب يمثل عملين منفصلين, الأول منها يمثل السيرة الذاتية والعائلية والتاريخية لحياة الأمير, والعمل الثاني يمثل معلومات عامة عن تاريخ الأنبياء والرسل والعرب والبيزنطيين وأخلاقهم, والحكمة من كتابة هذه السيرة يمكن إجمالها وإرجاعها إلى ثلاث قضايا جوهرية:

- إثبات الرسالة المحمدية وبيان احتوائها لجميع الرسائل السماوية بما في ذلك المسيحية وبذلك رسم أفاق جديدة لإمكانية التفاهم بين المسلمين والمسيحيين.
- الدفاع عن الحضارة العربية والإسلامية وإبراز أصالتها التاريخية.
- عدالة قضيته المتمثلة في المطالبة بتنفيذ الاتفاقية مع ابن ملك فرنسا لتنقله إلى المشرق.

وتجدر الإشارة إلى أن أسلوب الكتابة يمتاز بالبساطة والصدق كما أن المصدر يشمل على عبارات محلية, وقد برز فيها مظاهر التقارب بين الإسلام والمسيحية ما يدل على تفتحه الثقافي المبكر (الزهرة، 2009-2010م، صفحة 149).

خاتمة

نستنتج في الأخير مما سبق ذكره, النقاط التالية:

الأمير عبد القادر شخصية جزائرية قوية, أسس دولة قوية وقاد كفاح ضد الاحتلال الفرنسي دام 17 سنة, حيث حارب بكل قواه المادية والروحية, وتلقى الأمير مبادئ التصوف عن طريق شيوخ التصوف ومعلميه, ويرى أن التصوف هو جهاد النفس في سبيل الله, وان التجربة الصوفية هي تجربة شخصية ذاتية, والصوفية عنده هم أولئك الذين عليهم أن يكونوا في جميع أحوالهم وتصرفاتهم، حاضرين مع الله تعالى.

و توفرت العديد من العوامل التي ساهمت في سلوك الأمير إلى طريق التصوف, ومن بينها نسبه الشرف وتربيته الدينية الصوفية, وهو ابن الزوايا والطرق الصوفية, واطلاعه على كتب رجال التصوف, ومر تصوف الأمير عبد القادر بمراحل كانت بدايتها بتعلم والمطالعة على كتب المتصوفة, ثم مرحلة الفتوة والمرابطة وذلك بمقاومته للعدو ومرابطته في الثغور وهي من صفات كبار المتصوفة, ثم مرحلة التأمل والتفكير وكانت نتيجة لأسره في امبواز, وأخيرا مرحلة النضج والتعبير وهي المرحلة التي يصبح فيها الأمير متصوفا حقيقيا.

يعتبر كتاب المواقف حصيلة المجاهدات الصوفية التي جاهدها الأمير في سلوكه لطريق التصوف, وفيه الكثير من أرائه الصوفية, وانعكس التصوف على الأمير في أن أصبح مثلا أعلى في التسامح والمحبة والبعد عن التعصب, وتجلى هذا في موقفه الإنساني النبيل من الفتنة الطائفية الدينية بدمشق عام 1860م.

دلت مؤلفات الأمير على تمرسه في المجال الصوفي والأخلاقي وتبين لنا إسهامه الفكري بمؤلفه المقراض حيث يبرز فيه كل ما كتب عن الديانات والرسل والكتب السماوية, وبرز التجديد الفكري للأمير برسالته ذكرى العاقل وتنبيه الغافل, حيث خرج عن دائرة الأبحاث الدينية والأدبية التقليدية في عصره, أما مذكراته فتبين لنا سيرة الأمير الذاتية والعائلية وتاريخ الأنبياء والرسل.

قائمة الصادر والمراجع :

القرآن الكريم: سورة الأحزاب, الأية33.

المصادر:

الكتب:

1- الأميرعبد القادر الجزائري الحسيني، 2004م, **المواقف الروحية والفيوضات السبوحية**، ج1، ط1، دار الكتاب العلمية ، لبنان.

2- إيتين برونو ، 1995م, **عبد القادر الجزائري**، تر: خوري ميشيل ، دار عطية للنشر ،ط 1، لبنان.

3- الجزائري ، 1903م, **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**, ج 2، المطبعة التجارية_عرزوزي وجاويش, الإسكندرية.

المراجع:

1- بوعزيز يحي ، 1983 م, **الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري** ، الدار العربية للكتاب ،تونس.

2- الجزار أحمد كمال ، 1997م, **المفاخر في معارف الأمير عبد القادر الجزائري والسادة الأولياء الأكابر**، تق:محمد زكرياء إبراهيم ،ط1 دار النشر العمرانية للأوفست ،مصر.

3- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، 1965م, **تاريخ الجزائر العام**،ج1، منشورات دار مكتبة الحياة ،ط2 ، الجزائر.

4- بركات مراد محمد ،1990م, **الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي** ، دار النشر الإلكتروني، الجزائر.

5- بن السبع عبد الرزاق، 2000م, **الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه**،مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الجزائر.

6- السيد صالح فؤاد، 2007م, **الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا**، دار الثقافة، الجزائر.

7- العسلي بسام، **الأمير عبد القادر الجزائري**، ط1، دار النفائس، بيروت، 1980م.

8- قسمية عبد القادر، 2015م, **ثائر من الجزائر**، ط1، دار النفائس، لبنان.

9- نزار أباضة, 1994م, **الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد**, ط1, دار الفكر, دمشق.

10- علي محمد محمد الصلابي, د.س, **سيرة الأمير عبد القادر قائد رباني ومجاهد إسلامي**, دار المعرفة, لبنان.

المذكرات :

1- بوراس سمية، 2014-2015م, **أسرة الأمير عبد القادر في المشرق بين السياسة العثمانية والسياسة الفرنسية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر ، إ إشراف أحمد صاري، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة.

2- بن ساعد عائشة، 2003-2004م, **البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إ إشراف ناصر الدين سعيدوني، قسم التاريخ, كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر.

3- بقبق الزهرة، 2009-2010م, **الأمير عبد القادر في الأسر من1849-1852**م, رسالة لنيل شهادة الماجستير،في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، إشراف الصم منور، معهد التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران السانية.

المجلات:

1- فايزة بوسلاح, "كتابات أدب التصوف عند الأمير عبد القادر متصوفة الجزائر وابن عربي", **مجلة الحوار المتوسطي**, المجلد12, العدد2, ماي2021م, ص278.

2- دوحة عبد القادر، ديسمبر 2016م, " بصمات الأمير عبد القادر الجزائري في القانون الدولي الإنساني"، **مجلة الحوار المتوسطي**، العدد14،13، الجزائر.

3- فاطمة درعي, ماي2021م, "النزعة الإنسانية عند الأمير عبد القادر", **مجلة الحوار المتوسطي**, المجلد12, العدد2.

4- سامية بوعجاجة, ماي2013م, "البعد الصوفي في شعر الأمير عبد القادر الجزائري", **مجلة العلوم الإنسانية**, العدد31/30, جامعة محمد خيضر بسكرة.

5- كمال لعور, فيفري2020م, "مقامة الأمير عبد القادر الصوفية مكاشفة الرموز وثقافة الدلالات", **المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات**, المجلد3, العدد10.

6- توفيق خرواع, ماي2021م, "الوجه الأخر للأمير عبد القادر من خلال كتاب ذكرى العاقل وتنبيه الغافل", **مجلة الحوار المتوسطي**, المجلد12, العدد2.

7- بلقاسمي بوعلام، د س, "**الأمير عبد القادر الجزائري رائد الجهاد والحوار مع الآخر خلال القرن19م**"، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر.